

استراتيجية التعريب

للاستاذ: عبد العزيز بنعبد الله

رابع يستكمل قبل 1980 توحيد بقية مصطلحات التعليم بأسلاكه الثلاثة في التكنولوجيا والعلوم .

صحيح أيضا أننا وضعنا معاجم موازية للقطاع الإداري ولشئى المجالات الحضارية في المصنع والمخبر والمتجر والمزول والشارع وغير ذلك .

كل هذا صحيح ولكن حذار من أن نستكين إلى ذلك فنظن أن المشكل قد حل لأن هناك عوامل مختلفة معقدة هي التي يجب أن نتكبد عليها لتوفير الواسل الكفيلة بحلها .

ففى إطار التعريف بهذه المشاكل قيمت منذ أزيد من عشر سنوات بالقاء سلسلة محاضرات كمسؤول عن مكتب تنسيق التعريب ألقيتها من الخليج إلى الجزائر مارا بالقاهرة حيث أقيمت خلال شهر أبريل 1975 سلسلة أخرى في معهد الدراسات والبحوث العربية حول « التعريب ومستقبل اللغة العربية » وكانت هذه المحاضرات حققت صاوغا لأجاس الخطر في غير تشاؤم ولكن في واقعية تستند من الأرقام ومن معطيات تطور اللسنيات الحديثة في المام المعاصر .

أن دولاب الحياة يدور بسرعة والمصطلح العلمى يترايد يوميا بنسبة خمسين كلمة كل صباح وبعض الدول العظمى كفرنسا أصبحت تشعر بالمعجز من مسابرة الركب دون أن تخضع لدخيل يفزوا لغتها — دخيل ينطلق من دول عظمى أخرى أصبحت تتحكم بكشونغها العلمية في تكييف المصطلح التكنولوجى الحديث ... فعندما نضع مصجبا — مع لفرغ استكمال مفاهيم موضوع هذا المعجم وهذا غير صحيح لا بالنسبة لمعاجنا ولا بالنسبة للمعجم الموجودة في مختلف اللغات — نقول عندما نضع هذا المعجم نضل

أن العروض والتدخلات التي استمعنا إليها في «ندوة استراتيجية التربية والتعريب» قد اقلقتنا جميعا بقدرها أكدت لى شخصيا فعالية التهجى التي اختارها مكتب تنسيق التعريب فى خصوص الشق الجوهري من رسالة هذه الندوة أى التعريب وهو شق تبرز كل أبعاده عندما يدرس من خلال منهجية موازية تستهدف توحيد مناهج التربية فى الوطن العربى وهذان الهدفان من أجلهما أسست المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

وإذا كان من المفيد استعراض المبادئ العلمية لهذه الوحدة خاصة فى التعريب فإنه لا يكفى أن نقف عند هذه المبادئ لا سيما وأن العالم العربى ظل يرددنا فى هلمس منذ عقود من السنين وهى مبادئ لا تزيدها طقوات دولاب الحياة المعاصرة فى حركيته الديناميكية الا استحضانا للفروج من الحيز النظري إلى حيز العمل ولأنك فإن مكتب تنسيق التعريب بعد دراسات وتجارب قام بها خلال أزيد من عشر سنوات تبلورت لديه منهجية منطقية رصينة أدت إلى وضع نحو الخمسين معجما فى شتى مجالات الفكر والتكنولوجية والعلوم بثلاث لغات هي العربية والفرنسية والإنجليزية ولكن !... هنا يجب أن نتوسع فى هذا التساؤل فى نقد ذاتى نستشف من مضامينه جوانب النقص وأسباب الضعف والتعثر .

صحيح أننا وحدنا المصطلح العلمى إلى نهاية السلك الثانوي خلال مؤتمر التعريب الثانى الذى انعقد فى الجزائر عام 1973 وصحيح أننا ذهبنا أبعد من ذلك فاعدنا خطة محكمة لاستكمال توحيد هذا المصطلح فى باقى مواد السلك الثانوي وجزء من العالى خلال المؤتمر الثالث الذى سينعقد بحول الله أوائل عام 1977 بتونس أو بغداد وسيعقبه مؤتمر

(1) كلمة القاها الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله فى ندوة استراتيجية التربية والتعريب التى انعقدت عاصمة الجزائر بين 5 و8 مايو 1975 .

هذه الندوة مطالبة باستقصاء اسباب الضعف والركود في مقومات اللغة ومعطيات التربية في الوطن العربي ولان تجارب الغرب في ميدان اللسانيات وغير اللسانيات يجب ان تكون لنا عبرة في اختيارنا ! ان دويلة اسرائيل قد جعلت من العبرية لغة التعليم في الطب والهندسة والعلوم في الجامعات لانها اخذت الامر بجد ووحدت خطتها بجد وعبأت مائتي خبير لا شغل لهم الا تتبع ما يستجد من مصطلح لمبرنته في الحين واصدار مرسوم حكومي في الحين بالترميم في التدريس والتأليف وباقي اجهزة التعبير في الدولة .

ان مجمع القاهرة قد ولد مائة الف مصطلح منذ انشائه ولكن الكثير منها - بالرغم عن جودته مات في الرفوف لعدم الالتزامية وقد سمعت في نفوسنا روح الامل ما صرح به وزير التربية الجزائري في خطابه الختامي للمؤتمر الثاني للتعريب من تعهده بان تكون الجزائر اول من يلتزم باستعمال هذا المصطلح الموحد بل وعد السيد رئيس الدولة الهوارى بومدين علانية بانه سيعمل على تحقيق هذه الالتزامية باثارة القضية في احدى دورات مؤتمر القمة ونرجو ان يتم ذلك .

نعم ان الاستعمال الالتزامى هو القوام الحقيقي لحياة هذا الكائن الذي هو المصطلح ولكن هذا الاستعمال لن يكون فعالا اذا لم توفر له شروط منطقية مثل توحيد الكتاب العلمى لكل اجزاء العالم العربى ! فاذا كنا حقا امة عربية واحدة لنا لغة واحدة وتراث واحد فلماذا لا نوحده مناهج تربيتنا ومقومات هذه المنهجية !! ان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عندما قرنت مشكل التعريب بمشكل التربية انها قرنت عنصرين متكاملين لا ينطلق احدهما بدون الآخر ولذلك فان ندوتكم هذه تشكل اول ندوة في تاريخ العروبة اضطلمت برسالة خطيرة هي البحث عن وسائل دعم التعريب الصحيح بوحدة في الفكر وفي منهجية الفكر ونرجو ان لا ننتهى في الجزئيات وان نعمل - والمشكل واضح والحل ايضا واضح - على تكليل اعمالنا بتوصيات لا تكون كتوصيات ندوات اخرى تعاقبت في العالم العربى ومحا لاحققها ما قرر سابقا ! ان الامر جد وان الوضع لشديد الخطورة وان هذه الوحدة التى نستهدفها اليوم هى وحدة مصرية لانها تشكل المقوم الاول لكل الوحدات الاخرى اذ ان توحيد الفكر هو المطلق الاساسى الذى لا يمكن ان يتحقق بدون استكمال عناصر اية وحدة اخرى .

خلال عدة سنوات - نحن العرب - نتراجع في دواجة ينفخنا احد عواجلها الى آخر حتى تمر سنوات قبل ان يبرز المعجم للوجود فيبرز ناقصا ناقصا مزريرا لان خلال هذه السنوات تكون مادة المعجم العلمية قد ترايدت معطياتها باعتبار ترايد عدد مصطلحاتها المستجدة ولو بنسبة مصطلح واحد من خمسين مصطلحا في كل يوم ! هذا من جهة ومن جهة اخرى يضع العالم العربى كثيرا من وقته الثمين بين توان وتواكل او مجاذبات هامشية تخطت حدود الحقل السياسى لتنعكس على المجال الثقافى نفسه فتجد دولا عربية او هيئات داخل دول عربية تتمسك بمصطلح تمسكا بليفا لجرد كونه وليدا عزيزا عليها او لحنا شهر لديها فتقلب المجاذبات الى مباحكات تؤدى احيانا الى مساومات على حساب قيمة الكلمة علميا او جزالتها وحيويتها ! وهذا هو ما يقع في مؤتمراتنا وليس المشكل في هذه الحالة مشكل منهجية فمنهجيات الجامع العربية والهيئات اللسانية منهجيات لا تقل رصانة وعمقا وانضباطا عن منهجيات غيرها ولكنها منهجيات تتدافع لان وراوها خلفيات ليست وليدة تفكير عربى ولا مقحمة اقحاما مفرضا في هذا التفكير العربى بل انها تشكل - سواء شعرنا بذلك ام لم نشعر به - رواسب لاستعمارين مختلفين يتقاربان تارة ويتدافعان تارة اخرى هما الاستعمار الانجلوسكسونى والاستعمار الفرنسى فاذا استعرضنا مجازلات الخلاف بين مجمع وآخر ومعهد لسنى وآخر حول مصطلح ما نجد في كثير من الاحيان ان سر الخلافكامن في اختلاف اللغتين اللتين يستند اليهما كمصدر للتعريب او التوليد ، وقد شكلت هذه الظاهرة بالنسبة لمكتب تشييق التعريب عاملا خطيرا لان عناصر مفتعلة تسربت مع الزمن الى تراثنا غطبت الكثير من مناهجنا سواء في التربية او بقى مناحى الحياة واصبحنا ضمن دفاعنا عن التراث ندافع عن رواسب استعمارية دون وعى فعال منا والا فلماذا هذا الخلاف في التفكير والتعبير بين شقى العروبة في ميدان التربية والتعريب ؟ بل حتى في كثير من الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية !!

فهل تساؤلنا لماذا نجح الصهاينة في احياء لغتهم العبرية الميته بينما نفقر نحن في احلال لغتنا الحية المقام الذى كان لها في العصور الوسطى كلفة علم وحضارة !!

هذا سؤال لا يخرج عن نطاق هذه الندوة لان